الـجـامـعـة الإسـلامـيـة – غـزة
عـمـادة الـدراسـات الـعـلـيـا
كـلـيـة الآداب – قـسـم اللغـة العـربية
تـخـصـص الأدب والبـلاغـة والنـقـد

الالـتزام فـي الشـعر الإسـلامي الفـلسطيني المـعاصر

رسالة ماجستير مقدمة من الطالب

جواد إسماعيل عبد الله الهشيم

إشراف الدكتور

كمال أحمد غنيم

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير من قسم اللغة العربية بكلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة

2010-2011م

بسم الله الرحمن الرحيم

[وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ] {التوبة:105}

صدق الله العظيم

إهداء

إلى من أضاء في ذاتي وهج الطموح، وغرس
في كياني أروع المعاني من الصدق والمحبة والإيثار.

إلى أبي وروحه الطاهرة...

وإلى روح أمي الطاهرة التي ترفرف حولي لتقطف ما
كانت ترجوه وتؤمله...

وإلى زوجتي وأبنائي وكل من وقف بجانبي
آخذاً بيدي لتحقيق غايتي...

شـــكر وتـــقديـــر

أتقدم بالشكر والعرفان من أستاذي القدير الدكتور/كمال أحمد غنيم على ما أولانيـــه مـــن رعاية وما بذله من اهتمام بإسداء توجيهاته النيرة السديدة حتى كُتـــب لهـــذه الدراســـة أن تـــرى النور، والشكر موصول للأساتذة الكرام أعضاء لجنة المناقشة/الأستاذ الدكتور الناقد الفاضل نبيل خالد أبوعلي، والدكتور الفاضل يوسف شحدة الكحلوت، حيـــث شـــرّفاني بمراجعـــة الرســـالة وتمحيصها، ولا يفوتني أن أقدم وافر الشكر وجزيل العرفان للصرح العظيم الجامعة الإســـلامية التي شُرفت بالدراسة فيها طالباً وباحثاً ولرئيسها الأستاذ الدكتور/كمالين شـــعث، ولعميـــد كليـــة الآداب الأستاذ الدكتور/محمود العامودي على احتفائه واهتمامه بطلاب العلم، ولكل من وهبنـــي العون والمساعدة المادية والمعنوية وحباني بدعوة الخير

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

فـــهـــرس المـــوضـــوعـــات

الموضوع	الصفحة
آية قرآنية.....	2
إهداء.....	3
الفهرس.....	5
المقدمة.....	8
تمهيد.....	12
الفصل الأول ملامح الالتزام السياسي	
تقديم.....	26
أولاً: الانتفاضة والمقاومة.....	41
ثانياً: السجن.....	45
ثالثاً: الإبعاد.....	52
رابعاً: الشهادة.....	58
الفصل الثاني ملامح الالتزام الاجتماعي	
تقديم.....	66
أولاً: الظواهر الايجابية.....	69
1- البر بالآباء والأمهات.....	69
2- التفاؤل والأمل.....	75
3- الأخوة والصداقة.....	78
4-التكافل المجتمعي.....	82
5- الزواج.....	86
6- الحجاب.....	90
7- الوحدة الوطنية.....	95
ثانياً: الظواهر السلبية.....	98

الموضوع	الصفحة
1- الفقر والجوع.....	99
2- الطلاق والعنوسة وغلاء المهور.....	104
3- الغدر والخيانة.....	109
4- الفوضى والفساد.....	112
5- الخلافات والتشرذم الحزبي.....	116
الفصل الثالث ملامح الالتزام الإنساني	
ملامح الالتزام الإنساني.....	118
الدئرة الذاتية.....	120
الدائرة المجتمعية.....	125
الدائرة العربية	127
الدائرة الإسلامية	130
الدائرة العالمية	136
الفصل الرابع ملامح الالتزام الفني	
ملامح الالتزام الفني.....	144
1- الاتجاه الكلاسيكي.....	145
2- الاتجاه الرومانسي.....	154
3- الاتجاه الواقعي.....	165
4-الاتجاه الرمزي.....	176
5- الاتجاه السريالي.....	184
الفصل الخامس الجماليات الفنية في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر	
تقديم.....	189
أولاً: جماليات اللغة.....	190
ثانياً: الصورة الجزئية.....	215

الموضوع	الصفحة
ثالثاً: المفارقة التصويرية.....	222
رابعاً: الصورة الكلية.....	225
1- البناء الدرامي.....	225
2- البناء اللولبي.....	232
3- البناء الدائري.....	234
4- البناء التوقيعي.....	237
الإيقاع الموسيقي.....	240
الموسيقى الخارجية.....	242
الوزن في القصيدة العمودية.....	242
أنواع الوزن في قصيدة التفعيلة	244
القافية وأنواع القوافي.....	247
الموسيقى الداخلية.....	256
التصريع.....	256
الطباق.....	257
الجناس.....	258
التكرار الصوتي ودلالته.....	259
الترديد اللفظي.....	261
تكرار الجملة.....	262
الخاتمة.....	263
نتائج البحث.....	264
المراجع والمصادر.....	266

المـــقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على صفوة الخلق أجمعين.

اللهم لا سهل إلا ما جعلته سهلا، وأنت إذا شئت جعلت الحزن سهلا، لك الحمد حمـــدا لا ينقطع على نعمك الظاهرة والباطنة، فاملأ عقولنا وعيا وقلوبنا إيمانا وزدنا علمـــا وانفـــع بنـــا وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين وبعد..

فقد أوليت هذا الموضوع اهتماما بالغاً لما تعرض له الالتزام في الأدب من نقـــد قـــاسٍ حاول إيقافه عن التحليق في فضائه الواسع.

رب قائل يقول: ما جدوى إثارة قضية الالتزام من جديد؟ وإلام اليوم نبدي فيها ونعيد؟!

أقول: إن قضية الالتزام لم يخب ضياؤها ولم يتوقف نبـــضها، ومـــا زالـــت تـــضرب بجناحيها بقوة في فضائها متخذة من اسمها وجوهرها عناصر بقائها واشتعال جذوتها.

لقد سجل النقاد مواقف متباينة إزاء الالتزام في الأدب فمن قائل: إنه قيد لا يـــسمو معـــه الإبداع الأدبي لأنه يعتمد المباشرة وتغلب عليه سمة الخطاب والتقرير، ويـــسلط الـــضوء علـــى المضمون دون الشكل، كما أنه يخلو من الملامح والجوانب الجمالية، وكان من تبنى هذا الـــرأي أصحاب مدرسة "الفن للفن "الذين يرون أن الأدب فن في ذاته.

وهناك من انبرى في الدفاع عنه، فالالتزام في الأدب حياة وهو أقوى عناصر وجـــوده، وبدونه فإنه خواء وثمرته مُرَّة.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود: "الرفض الحقيقي للالتزام هـــو الكـــف عـــن الكتابـــة أصلاً"[1]، كما ذكر الدكتور عز الدين إسماعيل: "إن الأديب لا يستطيع أن يعـــيش بعيـــداً عـــن قضايا شعبه بل يجب أن يساهم برؤيته الشعرية العميقة في إيجاد الحلول المناسبة لهـــا وتغييـــر الواقع"[2].

إذن لماذا يرفضون الالتزام وينفرون منه؟

---

(1) زكي نجيب محمود، في الشعر، 194.

(2) عز الدين إسماعيل، التفسير النفسي للأدب، 374.

إن ما عرضه الراغبون في تقويض أركانه من تفسير لهذا الرفض وتعليل لهذا النفور لا يرقى إلى درجة القبول، فإن قيل إن في الالتزام جفافاً وبعداً عن ميدان الإبداع فأمامنا ما يدحض هذا القول.

يقول الدكتور شوقي ضيف:" ليس في الالتزام ما يناقض فكرة الإبداع والتفرد أو يناقض قيم الجمال والعناصر الشعرية الخالصة وإنما هو وعي واقتناع وإيمان برسالة الشعر ومسؤوليته في تطوير الحياة أو تغيرها"[1].

إن الالتزام مطلوب في الأدب عامة وفي الشعر خاصة، فهو انفتاح على الحياة يوقظ فيك الإحساس بمن حولك ويباعد بينك وبين الإغراق في ذاتك.

إن ما يقتل الالتزام هيمنة السلطة على النص، فهذا يقيد الأديب ويسلبه الحرية ويعيقه عن التحليق في فضاء النص.

إن الأدب الملتزم يحيا مع الأمة مستجيباً لمتطلبات الواقع واقفاً أمام الأحداث معبراً في صدق بالغ عن مشاعره وأحاسيسه إزاء قضايا الإنسانية من سياسية واجتماعية وأخلاقية.

دوافع الدراسة:

كان هذا الموقف تجاه الالتزام في الأدب وما أثير حوله من ضجة وجدل أبرز الدواعي التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع بالإضافة إلى خصوصية التهمة الموجهة للأدب الإسلامي الفلسطيني المعاصر من دوران في محاور بعيدة عن الفن وجمالياته.

من هنا جاءت مبررات الكتابة بحثاً عن القيمة الأدبية والفنية للشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر، وتنقيباً عما يكتنزه من مقومات إبداعية قد تفرض له البقاء والحياة، وتجعله يقف بقامة عالية بين قامات الإبداع.

الدراسات السابقة:

إن أغلب الدراسات السابقة نظرت إلى الالتزام نظرة تجريدية ذات بعد نظري لإثبات أهميته وتكريس مفهومه وأنه ليس قيمة ملغاة، وهذا الجانب يتفق فيه الباحث مع تلك الجهود ولا ينكر إسهام بعضها في إبراز الجماليات الفنية، ومنها: الالتزام في الشعر العربي للدكتور أحمد أبو حاقة، والالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق للدكتور رجاء عيد، والالتزام في شعر محمد التهامي للباحث فؤاد عمر البابلي، إلا أن البعض ممن انحاز لقضية الالتزام من أصحاب المذاهب الفكرية جعلها مطية لتثبيت مذهبه، وتسخيرها في خدمته معللاً ذلك بمقولة إن الفن

---

(1) شوقي ضيف، البحث الأدبي، دار المعارف، القاهرة، 101.

للحياة ولا بد من أن يشغل الأديب نفسه بالمضمون وقضايا وهموم البشر ولا يلتفت إلى الشكل إلا لماما.

في الوقت الذي رأينا فيه أصحاب مدرسة الفن للفن لا يلقون بالاً للمضمون بقدر اهتمامهم بالشكل الذي أخذهم بعيدا في تقديس جماليات الفن وما يحتويه من متعة وتسلية.

من هنا وجدنا أنفسنا لا نميل إلى هؤلاء ولا إلى أولئك متخذين لنا منهجا يرسم ملامح رؤيتنا لهذه القضية بأن يكون للمضمون نصيب مفروض، وأن يكون للشكل كفل محتوم.

أهمية الدراسة:

لماّ كثر الجدل بين المؤيدين والمعارضين لقضية الالتزام وشعرنا بأن جذوة المعركة الأدبية ما زالت تحت الرماد وأن هناك من ينبش عنها لتشتعل من جديد فقد رأينا من اللازب طرح منهجنا في هذه المسألة، ذلك المنهج القائم على الأخذ بطرفي الخيط وبيان أهمية الشكل والمضمون.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى سعينا إلى دفع الاتهامات عن الأدب الملتزم التي ترمي إلى تضييق معاييره وسلخه عن دائرة الإبداع وترى فيه أنه قيد ثقيل يقنن عمل الأديب في المباشرة والخطابة والتقرير وعدم وضوح الرؤية إزاء الشكل والمضمون والبعد عن مواطن الجمال الفني.

ولمّا كانت هذه الدراسة تتمحور حول الالتزام الإسلامي الفلسطيني المعاصر فقد تهيأت لي فرصة ثمينة في تقديم ثلة من الشعراء الإسلاميين الفلسطينيين المعاصرين الذين كاد النقاد يغمطونهم حقهم كشعراء مبدعين لهم تجربتهم الخاصة وظروفهم المميزة.

منهج الدراسة:

اتبع الباحث المنهج الوصفي التحليلي لما يمتاز به من قدرة على وصف الظاهرة الأدبية في مكان محدد وزمن بعينه وإظهار الخصائص الأدبية من فكرية وفنية وجمالية للشعر وفق دراسة تحليلية، فهو أنسب المناهج وأكثرها مواءمة لدراسة الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر.

اشتملت هذه الدراسة على تمهيد وخمسة فصول وخاتمة على النحو التالي:

أما التمهيد فقد بينت فيه مفهوم الالتزام لغة واصطلاحا، وبيان وظيفة الأدب، واستعراض بعض آراء النقاد حول هذا المفهوم مسلطا الضوء تجاه الالتزام في الأدب وفق التصور الإسلامي.

ففي الفصل الأول من هذه الدراسة عرضت لملامح الالتزام السياسي عبر تتبع لمراحل الشعر قبل النكبة وبعدها مسلطاً الضوء على رسالة الالتزام في الشعر الإسلامي الفلسطيني المعاصر الذي عالجت من خلاله أبرز القضايا الوطنية كالسجن والإبعاد والشهادة.

وفي الفصل الثاني تناولت ملامح الالتزام الاجتماعي وما يحتويه من قضايا اجتماعية تناقش الظواهر الإيجابية كالبر بالآباء والأمهات والتفاؤل والأمل والأخوة والصداقة والزواج والحجاب والوحدة الوطنية، وكذلك الظواهر السلبية كقضايا الفقر والجوع والطلاق والعنوسة وغلاء المهور والغدر والخيانة والفوضى والفساد والخلافات والتشرذم الحزبي، باسطاً الرؤية الموضوعية في علاجها عبر نصوص شعرية لم تتخل عن روح الالتزام.

أما الفصل الثالث فقد اندرج تحته كل ما يتعلق بالهموم الإنسانية انطلاقا من الدائرة الذاتية ومرورا بالدائرة المجتمعية والعربية والإسلامية وانتهاء بالدائرة العالمية وذلك كي ينتظم العقد وفق نسق تكاملي يتيح للمتلقي الانتقال من دائرة لأخرى دونما شعور بتشابك الدوائر.

ولقد عالجنا في هذا الفصل هموم الإنسان وعذاباته وكيف تناولها الشعراء الملتزمون بقضايا البشر المعذبين على أيدي أعداء الإنسانية.

وفي الفصل الرابع وقفت عند المذاهب الفنية في الأدب ودراسة كل اتجاه، كالاتجاه الكلاسيكي، والرومانسي، والواقعي، والرمزي، والسريالي مبينا خصائص كل اتجاه وكيف استطاع الشعراء الإسلاميون الفلسطينيون المعاصرون تسخير هذه الاتجاهات الفنية في خدمة قضية الالتزام دون التقيد باتجاه بعينه.

وأخيراً كان الفصل الخامس الذي اعتمدت فيه الدراسة على بيان الجماليات الفنية حيث تناولت من خلال ذلك جماليات اللغة والإيحاءات اللفظية والصوتية وجماليات الصورة الجزئية والمفارقة التصويرية والصورة الكلية: البناء الدرامي، البناء الدائري، البناء اللولبي، البناء التوقيعي ثم جماليات الموسيقى الداخلية والخارجية.

إن بيان الجماليات الفنية في هذه الدراسة ودوران النصوص الشعرية في فلك قضية الالتزام يبلغنا الغاية التي انطلقت من أجلها الدراسة التي أكدت أن الالتزام لا يعيق مسيرة الأدب أو يخنقه.

تـــمهـــيـــد

الالتزام لغةً: كلمة "الالتزام " كلمةٌ قديمة في أصل اللغة وقد تبين طبقا لما جاء في لسان العرب أنّ الكلمة مشتقة من الفعل لزم، يقال:" لزم الشيء يلزمه لزماً ولزوماً ، ولازمةً وملازمةً ولزاماً ، وألزمه إياه فالتزمه، ورجل لُزْمة يلزم الشيء فلا يفارقه، واللزام الملازمة للشيء والدوام عليه، والالتزام: الاعتناق[1].

وورد أيضا في القاموس المحيط:" لزمه كسمع، لزماً ولزوماً ولزاماً ولزامةً ولزمةً ولزماناً بضمّها، ولازمه ملازمة ولزاماً والتزمه وألزمه إياه فالتزمه،وهو لُزَمة كهُمَزة، أي: إذا لزم شيئاً لا يفارقه[2].

وقد أشار القرآن الكريم في غير موضع إلى هذا المعنى: قال تعالى: [**فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا**] [3]، وقال تعالى: [**وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ**] [4].

ويقال لما بين الكعبة والحجر الأسود "الملتزَم " لأنّ المسلمين يعتنقونه ويضمونه إلى صدورهم أثناء المناجاة والدعاء[5].

وورد في الحديث الشريف: عن أبي هريرة عن الحسن بن علي لما جاء التزمه رسول الله • والتزم رسول الله، قال: **[اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ ثَلاثَ مَرَّاتٍ]**[6].

الالتزام اصطلاحاً: يقصد بالالتزام في الاصطلاح الأدبي: "هو اعتبار الكاتب فنّه وسيلة لخدمة فكرة معينة عن الإنسان، لا لمجرد تسلية غرضها الوحيد المتعة والجمال"[7].

وهذا يعني تبني الأديب موقفاً عقدياً وفكريا يتجشم تبعاته، كما أن مفهوم الالتزام له ارتباط وثيق بمفهوم الأدب نفسه ومدى تغلغله في الحياة وبالدور الذي ينهض به في توجيه الحياة عامة والشعر خاصة.

---

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة "لزم "، دار صادر، بيروت 12/541-542.

(2) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، دار الريان للتراث، ط 2، 1987م، 1494.

(3) سورة الفرقان، الآية 77.

(4) سورة الإسراء، الآية 13.

(5) ينظر: المجموع للإمام النووي، ج 8، 13.

(6) ينظر: أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، 2/331.

(7) مجدي وهبة، معجم مصطلحات الأدب، مطبعة دار القلم، بيروت، 1974م، 79.

وبعيداً عن خلط المعاني فإن "الالتزام شيء، والإلزام شيء آخر فالالتزام يعني حرية الاختيار وهو يقوم على المبادرة الايجابية الحرة من ذات صاحبه مستجيبا لدوافع وجدانية نابعة من أعماق نفسه وقلبه، ولعل هذه الحرية هي التي تضفي على الالتزام معنى الشعور بالمسؤولية"[1].

والإنسان بطبعه فيه نفور شديد من القسر والإرغام، ويظهر ذلك جلياً عند الأدباء و أهل الفنون إذ يعدونهما حجراً على المواهب ومما يجلو هذا القول ما ذكره الخوارزمي في بعض رسائله التي تكشف عن الضيق في نفسه من غلبة القهر إذ يقول: "آثرت الغربة عن وطن معه أذى واخترت الظمأ على شراب فيه قذى"[2].

إن "الإلزام" إذ تنبعث منه رائحة الإكراه والجبر يتنافى مع مبدأ الحرية والاختيار لذلك نأى الإسلام عن هذا القيد في مجال الإيمان والكفر دون إغفال لما يترتب على هذا الاختيار من ثواب أو عقاب.

قال تعالى: [وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا] [3].

وما يجلو معنى "الإلزام" بالإكراه ما جاء حكاية على لسان نوح عليه السلام في قوله تعالى: [قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنْتُمْ لَهَا كَارِهُونَ] [4].

إن الالتزام ليس بدعا في مفهوم الأدب، ولم يحدث شرخا في مضامينه أو صداما مع نزعتي الفكر والجمال طالما ظل متحررا من قيود الانغلاق وهيمنة السلطة لذا فالأدب لا يقبل أن يبقى الأديب أو الشاعر مهوّما مع السحاب، طائرا على أجنحة الخيال، غارقا في فرديته، دون أن ينصهر في واقع مجتمعه وأمته.

إن الأدب وإن كان صاحبه يعبر عن ذاتيته فلا بد أن يكون في عين الوقت غيريا مرتبطا بمن حوله ينبض وجدانه بهمومهم ويخفق قلبه بآمالهم، " إنه الجانب الايجابي من علاقة متبادلة بين الشاعر والمجتمع"[5].

---

(1) أحمد أبو حاقة، الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت، 14.
(2) الخوارزمي، رسائل الخوارزمي، مطبعة الجوائب، القسطنطينية، 1297، 10.
(3) سورة الكهف، الآية 29.
(4) سورة هود،الآية 28.
(5) إحسان عباس، اتجاهات في الشعر العربي المعاصر، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998م، 160.

لهذا "ظهر مقياس الالتزام في الأدب الذي يزن الأديب بمقدار تكيفه، للمجتمع وموقفه من قضايا أمته واحتماله لما ينبغي أن ينهض به من تبعات ومسؤوليات"[1].

لقد تكاثرت آراء النقاد والأدباء وتباينت حول مفهوم الالتزام، ولعل احتدام الصراع المذهبي كان وراء ذلك كله؛ الأمر الذي ترتب عليه تسليط الضوء على الأعمال الفنية لمراقبة موقف الأديب من هذا الصراع .

إن الالتزام قد تقولب في أكثر من قالب ليأخذ أشكالا وليحمل مضامين تفرضها طبيعة العصر.

فهل الالتزام معناه "أن يتصدى الأديب للنضال الفني عن قضايا قومه؟ فالذي يعرفه التاريخ أن مثل هذا الالتزام قديم قدم الفن نفسه، وهل كانت وظيفة شعراء القبائل إلا التزاما بتبعة وجودها، ومسؤولية قيادتها، وأمانة قضاياها"[2]

يقول بدر شاكر السياب في محاضرة بعنوان: "الالتزام في الأدب العربي" ألقاها في مؤتمر الأدب العربي المعاصر في روما عام 1961م: "أما الشعر العربي فلم يعرف الدعوة إلى الالتزام أو التملص منه إلا في فترة متأخرة، لقد نشأ الشاعر العربي أول ما نشأ "ملتزما" دون أن يدعوه أحد إلى ذلك.

كان الشاعر الجاهلي لسان القبيلة: تغضب فيعبر عن غضبها وتحزن فيصور حزنها، وتتقاعس إذ يعتدي عليها فيثير الحماسة في نفوس أبنائها ويدعوهم إلى الثأر والدفاع عن كرامتهم"[3].

ولنا أن ندرك ذلك لو أمعنا النظر في الأدب الجاهلي فسوف نجد مدى الالتزام عند الشعراء حيث الولاء للقبيلة، ومن الشعراء الذين مثّلوا هذا الجانب عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة اليشكري وغيرهما فقد كان لأشعارهم صدى بين أفراد القبيلة لما يتفجر منها من مفاخر بأيامهم وأمجادهم.

كما تجسدت المثالية في شعر زهير بن أبي سلمى وحاتم الطائي وطرفة بن العبد وغيرهم.

---

(1) شوقي ضيف، البحث الأدبي، دار المعارف، القاهرة، 13.

(2) عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف القاهرة، 229.

(3) عبد اللطيف شرارة، معارك أدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984م، 299.

وما أن بزغ فجر الإسلام حتى قامت الدعوة الإسلامية على الالتزام بكل أبعاده انطلاقاً من إيمان راسخ واقتناع عقلي وحرية اختيار، ولك أن تستشرف ذلك في أشعار كعب بن زهيروعبدالله بن رواحه وحسان بن ثابت في الدفاع عن العقيدة والتغني بتعاليم الإسلام.

ومع التطور الطبيعي للحياة وديناميكية حركة التاريخ نرى أنه مع إطلاله العصر الأموي شهد العالم الإسلامي تحولات خطيرة في كل مناحي الحياة، وكان أبرزها ظهور الأحزاب السياسية أو إن شئت فقل بروز الإسلام السياسي الذي عكس الالتزام في كثير من الأحيان بمذهب معين وموقف واضح يقفه الشاعر من مسألة الخلافة من سائر الأحزاب.

إن الالتزام يعني: "التزام الأديب بمسايرة وضع سائد في مجتمعة وتأييد نظام مقرر على قومه؟ فكذلك كانت الجمهرة الغالبة من الأدباء في كل عصر وكل مجتمع تساير الأوضاع السائدة وتتولى لها مهمة التعبئة الوجدانية"[1].

أم يقصد بالالتزام أن يكون "الفن سلاحاً في أيدي السلطة الحاكمة ولا يعدو دور أصحاب الكلمة سوى تعزيز هيمنة السلطان الأدبي للحكام على وجدان المحكومين"[2].

وفي الحالتين يكون الأديب – كما يظهر – خاضعاً لهيمنة السلطة الحاكمة، وطوع رغبتها مما يتنافى مع روح الالتزام المرجو منه.

إن الحقبة الزمنية التي تحول فيها الالتزام الأدبي إلى إلزام مذهبي محكوم بقوانين مادية كـــانت مـــنذ تفشي الفكر الشيوعي فبعد أن كان الأديب سيد موقفه يعبر عن ذاتيته ويلتزم – كذلك – بقضايا أمته وهمومها صار مطلوباً منه "أن يمارس عمله الفني من خلال المذهب وأن يقف وراءه داعياً مبشراً تحت رقابة صارمة تجعل من الالتزام إلزاماً"[3].

لا ريب أن تلك التجربة كانت خانقة لروح الإبداع وكشفت خطأ الإلزام وخطره، فبدلاً من أن يؤدي الفن دوره الفاعل في خدمة الحياة وقيادتها فقد توازنه ولم يعد له من سلطان على وجدان الجماهير، لذا كان – من الضرورة بمكان – عند رافعي شعار الفن الماركسي إبراز دور الالتزام الفاعل بتحقيق الجانب الجمالي للأدب، ونهوضه بمهمته في خدمة المجتمع والمذهب.

ويحدد محمود تيمور طبيعة العمل الفني بقوله: "وإننا لنظلم العمل الفني إذا زوينا عنه أعيننا لمجرد أنه يتناول مشكلة من مشكلات الحياة أو يعالج قضية من قضايا المجتمع، كما يكره ذلك القائلون بأن الفن للفن، وإننا كذلك لنظلم الفن إذا غالينا في تقدير العمل الأدبي لمجرد أنه

---

(1) عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم، دار المعارف القاهرة، 229 .

(2) السابق، 229.

(3) السابق، 230 .

يتناول تلك المشكلات ويعالج تلك القضايا كما يحب ذلك القائلون بأن الأدب للمجتمع وفي سبيل الحياة"[1].

إذن العمل الفني ليس كله صرامة وفلسفه كما أنه ليس كله ترويحاً وإمتاعاً، إنه مزيج من هذا وذاك لأن كليهما من مقومات الحياة وضرورات الأحياء فكما نحن في حاجة إلى الحقائق الواقعة كذلك نحن في حاجة إلى الأخيلة والرؤى.

فهذه الوسطية سمة من سمات الأدب الإسلامي فهو "التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان"[2].

أو بعبارة أكثر جلاء : إنَّ الأدب الإسلامي " تعبير مؤثر نابع من ذات مؤمنة، مترجم عن الحياة والإنسان والكون وفق الأسس العقائدية للمسلم وباعث للمتعة والمنفعة، ومحرك للوجدان والفكر، ومحفز لاتخاذ موقف، للقيام بنشاط ما"[3].

وفي ظل الأدب الإسلامي الملتزم، ربما يقول قائل: هل استطاع الإسلام أن يغيِّر نظرة الأديب وموقفه إزاء الحياة ومظاهر الجمال في الكون؟

لا يختلف عاقلان أو يتسرب الشك إليهما في ذلك، فإذا كان الشاعر الجاهلي قد امتلأ شعره بعناصر إسلامية كما هو الحال عند "ذي الرمة" في إدراكه لمواطن الجمال في الكون والحياة من حوله بحسه القريب فإن القرآن استطاع أن يلفت الشاعر الإسلامي إلى رؤية أسمى وأرقى جعلته يغادر ذاتيته ويحلق في فضاء المبادئ والقيم في هذا الكون العريض[4].

بل إن الأدب الإسلامي لا يقف عقبة كؤوداً أمام المتعة الفنية الأدبية طالما أنها لم تصطدم مع الفطرة البشرية لذلك نجده يشيد بالقيمة الأدبية لشعر طاغور حيث يفيض شعره سماحة عذبة وصفاءً روحياً، وحباً للحياة كلها والأحياء، ومقاومة للشر، وحباً للخير، وانطلاقاً إلى عالم النور[5].

---

(1) محمود تيمور، الأدب الهادف، مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز المطبعة النموذجية، 1959م، 51.

(2) محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط4، 1980م، 6.

(3) عمر عبد الرحمن الساريسي، معالم الأدب الإسلامي، مكتبة الفلاح، 46، نقلاً عن: عدد خاص من مجلة "المشكاة" عن نجيب الكيلاني، 187.

(4) ينظر: عز الدين إسماعيل، الأسس الجمالية في النقد العربي، دار الفكر العربي / 1992م، 114/113.

(5) ينظر: محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط4، 1980م، 200.

ويلاحظ ذلك جلياً في قصيدته "رحلة السوق" حيث "يسع الكون بعطفه وسماحته ويتجاوب تجاوب المودة مع كل شيء وكل شخص فيه حتى مع اللص قاطع الطريق"[1].

كذلك الأمر ينال شعر "برتولت بريخت" بالإشادة بالقيمة الأدبية، والمعاني النبيلة في قصيدة "الأجيال المقبلة" فهي مثال صادق للشعر الملتزم حيث تحافظ على القيم الإنسانية العامة البعيدة الشمول جنباً إلى جنب مع القيم الجمالية.

يقول "بريخت": "هذا الذي يعبر الطريق مرتاح البال ألا يستطيع أصحابه الذين يعانون الضيق أن يتحدثوا إليه؟ صحيح أنني ما زلت أكسب راتبي، ولكن صدِّقوني ليس هذا إلا محض مصادفة، إذ لا شيء مما أعمله يبرر أن آكل حتى أشبع"[2].

ويقول أيضاً: "آه: نحن الذين أردنا أن نمهد الأرض للمحبة لم نستطع أن يحب بعضنا بعضا أما أنتم فعندما يأتي اليوم الذي يصبح فيه الإنسان صديقاً للإنسان فاذكرونا وسامحونا"

إن شعر "بريخت" "هنا تتدفق منه ينابيع المحبة للإنسان والإحساس بآلامه ويجعلنا نقف أمام شاعر لم يتخل عن رسالته في الحياة "فالشاعر لا يتجه بقصيدته لجماعة معينة أو للتبشير بمبدأ أو عقيدة وإنما التوجه هنا للإنسان أياً كان مذهبه أو عقيدته أو جنسه أو عصره"[3].

الالتزام وآراء النقاد:

إنَّ قضية "الالتزام" لم يقر لها قرار، ولن يُطفأ لها أوار، فقد ظلت آراء النقاد تتجاذبها ولكل رأي وجاهته إذ لا نستطيع إقصاءه، ولكن النقاد الذين لم يخفوا مواقفهم السلبية أو العدائية لقضية الالتزام ونادوا بتجاوزها وفقاً لقانون الابتكار والتجديد ولرؤيتهم بأن الالتزام يوحي بالجمود وغلبة النمطية، ويمثِّل قيداً ثقيلاً يعيق حركة الأدب، وحرية الأديب، استيقظوا على ذات الخلافات والصراعات التي أثاروها ضد "الالتزام" تنشب في محيط المذاهب الأدبية الجديدة، وأدركوا من حيث لا يعلمون أنهم يدعون إلى الالتزام بهذا الجديد، بل وتثور حفيظتهم إذا لم يلتزم الآخرون به.

وإننا إذ سنعرض لآراء هؤلاء وأولئك، سنرى رأياً ثالثاً وسطا لا ينفي هذا ولا ذاك وإنما يميل إلى الجمع بينهما لأنهما يشكلان الصورة الحقيقية للأدب الذي يمس الإنسان والكون والحياة.

---

(1) ينظر: محمد قطب، منهج الفن الإسلامي، دار الشروق، ط4، 1980م، 201.

(2) محمد زكي العشماوي ، الأدب وقيم الحياة المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 221.

(3) السابق، 220

لقد شهدت ساحة الأدب معارك أدبية عنيفة بين بانٍ مؤيد وهادم رافض لقضية الالتزام حتى راج القول وشاع التصنيف بين كاتب ملتزم وآخر غير ملتزم، فنظرة الفكر الماركسي للفن هي: "إنما هو نشر فكر أيدلوجي خاص ونظرة معينة خاصة تجاه الحياة وفي الوقت نفسه عليه أن يتبنى موقف جماعة اجتماعية ويعبر عنها فإنه لا يمكن أن يوجد في المجتمع الإنساني استقلال الفرد المطلق عن المجتمع فمثل هذا الاستقلال ليس إلا من وحي الخيال"[1].

ويعترف لويس عوض بمدى تأثير التيار الماركسي على الأدب وتضييق دائرته حيث لم يعد باستطاعته قرض الشعر ولم ير من الحياة سوى اللون الأحمر وكأنه قد شب في الكون حريق وهو راضٍ بأن يعيش فيه تعاطفاً مع أجساد العبيد الممزقة[2].

بل "إن الأثر الفني تتوقف أصالته ونبله على مدى إسهامه وتعمقه في الحياة الطبيعية وكذلك الحياة الاجتماعية ويرون أن هذا هو أساس الحركة الواقعية في الفن"[3].

وعـــلى الرغم من هذه النظرة الصارمة للأدب فقد كان للتيار الماركسي – فكراً وشعوراً – دوره في النقلة النوعية للأدب والفن، إذ كان سعيه الدءوب يهدف إلى تحرير الوطن والإنسان من ثقل القيود الاجتماعية والسياسية ومن ربقة القيم البورجوازية ، لكنه سرعان ما قيد الأديب بصياغة فكرية سياسية ذات مضمون اشتراكي أخلاقي لا يغادره، يخدم الطبقة الكادحة من فلاحين وعمال.

أما الوجوديون ونظرتهم للالتزام فنتمثلها في قول سارتر: "وإنما أسمي الكاتب ملتزماً حينما يجتهد في أن يتحقق لديه وعي أكثر ما يكون جلاءً وأبلغ ما يكون كمالاً بأنه "مبحر"[4] أي عندما ينقل لنفسه ولغيره ذلك الالتزام من حيز الشعور الغريزي الفطري إلى حيز التفكير والكاتب هو الوسيط الأعظم وإنما التزامه في وساطته"[5].

فإذا كان سارتر قد جعل من أدبه أدب التزام لموقف ويرى بأن الهدف الغائي للفن هو إعادة تنظيم هذا العالم بعرضه كما هو، ولكن على تقدير أنه صادر عن حرية الإنسان وهنا

---

(1) رجاء عيد، فلسفة الالتزام، منشأة المعارف بالإسكندرية، 1988م، 129.

(2) ينظر: رجاء عيد، فلسفة الالتزام، 226.

(3) السابق، 131.

(4) المراد بكلمة "مبحر" إشارة إلى رهان "بليز باسكال" المشهور وفيه يرى ضرورة الالتزام باختيار رأي من بين الآراء والمخاطرة بإتباعه فنحن في هذا العالم أشبه بمسافرين عن طريق البحر ليس لهم من خيار في أمر السفر فلم يبق لهم سوى اختيار السفينة.

(5) جان بول سارتر، ما الأدب، ترجمة محمد غنيمي هلال، مكتبة الأنجلوا المصرية، مايو 1971م، 94.

يبرز دور التفاعل مع حرية الآخرين وبفضل هذا التعاقد بينهم وبينه يستطيعون أن يجعلوا الكون كله ملكاً للإنسان وأن يجعلوا الإنسانية وقفاً على العالم[1].

إن رأس النزعة الوجودية "سارتر" والذي كان يرسخ مفاهيم الأدب المسئول وقع فريسة في يد الصهيونية إذ "حاول في كتابه" تأملات في المسألة اليهودية "أن يعيد لليهودي اعتباره كإنسان وانتهى من ذلك كله إلى تحوله أداة يستخدمها الصهاينة ثم لا يقوى بعد ذلك على استنقاذ نفسه"[2].

وللوجوديين موقف واضح إزاء الشعر والنثر من ناحية الالتزام ويؤكد سارتر هذا الموقف بقوله: "إننا نستطيع أن ندرك في يسر مدى حمق الذين يتطلبون في فن الشعر أن يكون "إلزامياً" نعم! قد يكون مبعث القطعة الشعرية الانفعال أو العاطفة نفسها وقد يكون مبعثها أيضاً الغضب والحنق الاجتماعي أو السخط السياسي ولكن كل هذه الدوافع لا تتضح دلالتها في الشعر كما تتضح في رسالة هجاء أو رسالة اعتراف"[3].

إنَّ هذا التقسيم يرتكز على رؤية أن الناثر أقدر على استجلاء عواطفه حين يعرضها في كتابه عن الشاعر الذي ينقطع عهده بها بعد سيطرة الكلمات عليها بأثوابها المجازية.

فإذا كانت "الكتابة النثرية عندهم هي مجال الفكر الالتزامي لأن عمل الكاتب هو الكشف عن المواقف، ولا قيمة لهذا الكشف في حد ذاته إذا لم يكن هناك قصد إلى التغيير"[4].

وأرى في هذه الرؤية قسطاً غير يسير من الإجحاف بحق الشعر، فالشعر يظل محتفظاً بفنيته لما يمتلكه من أدوات فنية ومعايير جماليه قائمة على بناء الصورة الخيالية بعيداً عن نمط الوعظ والمباشرة، فالشعر تخيل وإدراك فكما أنه يرفعك إلى عالم الخيال فإنه يربطنا بعالم الواقع فعندما يغرق الشاعر في دائرة ذاته ويحلق بعيداً عن مدار الواقع ناسياً قضايا عصره وأحوال أمته هو شاعر غيبي .

أما من يهزه هموم البشر من حوله فهو شاعر إنساني يفكر في إسعادهم أكثر مما يفكر في إسعاد نفسه.

---

(1) جان بول سارتر، ما الأدب، ترجمة محمد غنيمي هلال، مكتبة الأنجلوا المصرية، مايو 1971م، 60.

(2) عبد اللطيف شراره، معارك أدبية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1984، 302.

(3) بدوي طبانه، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ، الرياض، 1984م، 18.

(4) السابق، 18.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود: "إن الشاعر إذا سها عن فنه لحظة – وقد يسهو – فوقف منا موقف الواعظ المرشد فإنه في هذه اللحظة عينها ينفي عن نفسه أن يكون شاعراً، فأفضل ما يكون الشاعر معلماً أخلاقياً حين لا يحاول أن يعلم، ولقد يكون عند الشاعر شيء من حكمة الحياة يريد أن يعلمنا إياها، بل هو أحق الناس بجمع الحكمة من تضاعيف الحياة لأن رجلاً أرهفت حواسه بمثل ما أرهفت حواس الشاعر تكون حكمة الحياة أقرب إلى أطراف أنامله منها إلى سواه"[1].

وإننا لنجد نفراً من الأدباء لم يكن خاضعاً لمذهب بعينه إلا أنه لا يستطيع إخفاء التزامه، فهذا "كاموس" في فرنسا قد نبع التزامه من أعماق تفكيره حيث قال: "إن فكرتي عن الفن سامقة الارتفاع، وهذه الفكرة المرتفعة هي التي تجعلني أريد للفن أن يخدم شيئاً، إن غاية الفنان الخالق هي أن يصور عصره"[2].

وفي انجلترا نجد أن "العقلية الانجليزية لا تطيق قيوداً على الفكر والمتعة مهما تكن فائدتها لهذا قلما تجد ظاهرة الالتزام بالمعنى المذهبي المذكور في الأدب الانجليزي المعاصر"[3].

ومهما يكن من أمر فإن التزام الأديب بقضايا أمته وعصره لا ينفي اهتمامه بالقيمة الأدبية الخالصة المبدعة، لذا فالقول بأن الالتزام بقضايا الأمة يسلب العمل الأدبي قيمته هو قول بعيد عن الصواب إذ لا يمكن فصلها وغاياتها وأهدافها الإنسانية المتصلة بالحياة لأن "الفصل بين فنية الأدب واجتماعيته شذوذ في منطق الحياة والفن معاً"[4].

ومن النقاد من يؤمن بقضية الالتزام مشفوعة بالحرية فبغيرها لا يكون أدب ولا فن بل نساهم في تجفيف ينابيعه وإن عدم تقلب الأديب في أعطافها يظل بعيداً عن الخلق والإبداع.

ويرى الأديب شفيق جبري أنه " إذا كان المقصد من الالتزام أن يفرض المجتمع على الأديب أفكاره ومعتقداته حتى لا يحيد عن هذه الأفكار وهذه المعتقدات في كتاباته، وحتى يكون في هذا المجتمع آلة يحركونها ويسكنونها كيف شاءوا فخير للأديب أن يختار له صناعة غير صناعة الأدب[5].

---

(1) زكي نجيب محمود، مع الشعراء، دار الشروق، 1978م، 194.

(2) ينظر: توفيق الحكيم، فن الأدب، مكتبة مصر الفجالة، دار مصر للطباعة والنشر، 290.

(3) السابق، 291.

(4) عائشة عبد الرحمن، قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر، دار المعارف، القاهرة، 233.

(5) بدوي طبانه، قضايا النقد الأدبي، دار المريخ، الرياض، 1984م، 26.